



ISSN : 2335-1071

فصل الخطاب



ISSN: 2335-1071

مختبر الخطاب المحجّاج
أحواله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون - تيارت

العدد الرابع عشر

*Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret*

فصل الخطاب

ملف العدد:

- كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي
- المصطلح البلاغي واقع التوظيف وأبعاد التعليم
- رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية
- استراتيجية القراءة ورؤى التحول في الكتابة الروائية المعاصرة
- جمالية اللغة في الحوار القرآني

جوان 2016

جوان

2016

Jun

Revue n°14

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Juin 2016

العدد 14

المجلد الرابع

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث
العلمية والنقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

Faslo El-Khitab

*Revue périodique a vocation scientifique, traitant
des domaines de la critique littéraire, la linguistique
et la rhétorique en langues arabe et étranger*

Revue N 14

Volume 04

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أسوله ومرجسياته وأفاقه في الجزائر
تسنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد الرابع عشر

جوان 2016

ردمك ISSN 2335-1071

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون - تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زمرورة - تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغيتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدى المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.
2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.
3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .
4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط (Traditional Arabic) قياس 14 في المتن و 11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط Times New Roman قياس 12 في المتن و 10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسييات والأشكال فتكون صوراً IMAGE .
5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحفظ المجلة بحقوقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .
6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر .
7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصنيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة

أ.د. مدربيل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون - تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير: أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود احمد	د. غانم حنجار
د. درويش أحمد	د. بوعرارة محمد
د. كبريت علي	د. قوتال فضيلة
د. كراش بخولة	د. مكينة جواد
أ. تركي محمد	د. عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد - جامعة تيارت	أ.د. فيدوح عبد القادر - البحرين
أ.د. مرتاض عبد الجليل - جامعة تلمسان	أ.د. خلف الجردات - المملكة الأردنية
أ.د. العشي عبد الله - جامعة باتنة	أ.د. بوحسن أحمد - المغرب
أ.د. حسن نعمي - المملكة العربية السعودية	أ.د. عباس محمد - جامعة تلمسان
أ.د. بشير بويجرة محمد - جامعة وهران	أ.د. آمنة بلعلي - جامعة تيزي وزو
أ.د. توفيق بن عامر - تونس	أ.د. سطمبول الناصر - جامعة وهران
أ.د. حسن البنداري - عين شمس - القاهرة	أ.د. خميسي حميدي - جامعة الجزائر
أ.د. دراوش مصطفى - جامعة تيزي وزو	أ.د. كوارى مبروك - جامعة بشار

الفهرس

05.....	كلمة رئيس التحرير.....
07.....	كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي (عبد الكريم ابزاري).....
27.....	المصطلح البلاغي واقع التوظيف، وأبعاد التعليم (عدة قادة).....
43.....	تعليمية النحو العربي وفق مستويات التحليل اللساني (أحمد بن عجمية).....
	رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية،
55.....	هل هي حاجة فنية أم حاجة اجتماعية؟ (أحمد قليبية).....
67.....	جمالية اللغة في الحوار القرآني "التقديم والتأخير" (بكوش جميلة).....
79.....	أسلوب التشخيص في الشعر الجزائري الحديث (خميس رضا).....
89.....	من إيديولوجيا الروائي إلى إيديولوجيا النص الروائي (سليمان بلحسين).....
101.....	الرواية والشعرية، المفهوم والمصطلح (عبد دو راج).....
	معيّار الوحدة في القصيدة العربية القديمة،
117.....	نظرات في المسوغات النقدية (غانم حنّجار).....
	السمات الأسلوبية في شعر رمضان حمود،
127.....	وأثرها في بيان تعزيز الانتماء العربي (قاسم قادة).....
135.....	التوثيق النظري للأدب الإسلامي (مجاهد التامي).....
143.....	استراتيجية القراءة ورؤى التحوّل في الكتابة الروائية المعاصرة (سنوسي مها جميلة).....
155.....	لسانيات النص بين الطرح العربي والتنظير الغربي (يعقوب الزهرة).....
177.....	القراءة المستوياتية عند "عبد الملك مرتاض" (شرفاوي أمال).....
191.....	سيمائية التكثيف السردية في القصة القصيرة جدا (قوتال فضيلة).....
201.....	المعنى بين التوحد والتعدد والتبدد (مسعود كلالي).....

كلمة رئيس التحرير
بسم الله الرحمن الرحيم

أما قبل:....

في عددها الرابع عشر تصدر مجلة فصل الخطاب وهي تجابه معوقات عدة، ما إن تتخطى واحدة حتى تتبدى آخر متوالدة، متناسلة ومتكاثرة، وكأنها لا تريد أن تنتهي. ولكن بفضل عزيمة طاقمها الخفي، وجهود رجالها الذين يأبون إلا أن يتواروا في الظل، لأنهم يفضلون الخفاء على الجلاء، والضمور على الظهور، فبفضل هؤلاء ها هي أعداد مجلة فصل الخطاب تتوالى في حلة قشبية.

حاولنا أن نصف مقالات هذا العدد - على كثرة ما يصلنا منها بعد القراءة والتحكيم السري - وفق منظور ما هو متداول، من المفاهيم النقدية التي صارت متداولة وبسطت نفوذها، أثبتت وجودها، وفرضت نفسها على الحقلين الأدبي والنقدي، ثم باقي الحقول التي تتقاطع معها، كما ظلت هذه المفاهيم في حراك وتحول، الأمر الذي أدى إلى تنوعها، وكانت الثورة المعرفية بظهور اللسانيات وما تلا ذلك من تطورات منهجية ونقدية، امتدت لتشمل حقولا أخرى تبدو بعيدة عن حقول اللغة في المفهوم التقليدي لعلوم اللسانيات، كعلم النفس والاجتماع والنقد الأدبي، وغيرها من العلوم والمعارف المعاصرة. وبذلك جعلت من تحليل الخطاب عمدة أساسية لفهم وتحليل ومناقشة النصوص والقضايا والأفكار المطروحة، وفق ما تمليه حدود وميكانيزمات التلقي والتأويل، والتفكيك والتركيب، وكذا آفاق الحوار والتواصل.

وقد تطور اهتمام النقد المعرفي بموضوع التواصل عموماً، واللغة الإنسانية تحديداً. والحجاج تخصيصاً. وتأتي اللسانيات، هذا العلم المستجد، في طليعة العلوم التي نزعت إلى تحديد معاصرو علمي لمفهوم اللغة من خلال دراستها "بذاتها ولذاتها" وبغض النظر عن أية علوم أخرى؛ وسعت لاستجلاء مختلف وظائفها في تشجيع الفهم المتبادل ونقل التجارب الإنسانية والتعبير عن الفكر، أيًا ما كان هذا الفكر.

لذلك تسعى مجلة فصل الخطاب جاهدة إلى أن تقارب - من خلال مقالات السادة الباحثين - هذا الاضطراب المفهومي في الفكر العربي المعاصر. كما تسعى إلى أن الوعي بهذا الأشكال هو الأساس عملية فكرية أكثر مما هي مسألة تتعلق بمعرفة حدود المفهوم نفسه. بمعنى آخر يرجع هذا الاضطراب إلى أنه مسألة (أكاديمية) بحثة تتعلق بمعرفة بيانات المفهوم ومحدداته بقدر ما يرتد إلى عملية فكرية معقدة، ومشروطة بالضرورة تاريخياً ومعرفياً. أي بمن تنتج هذه المعرفة التي تأطرت في غياب وعينا ذاته، ثم بطبيعة المفهوم نفسه، وكما يحدد محمد مفتاح في كتابه: تحليل الخطاب الشعري، أبعاد العملية التواصلية في شقيها التواصلية ثم التفاعلية:

أما التواصل فيهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجاربه إلى المتلقي، وأما التفاعلي فيدعم مقولة أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للخطاب اللغوي، أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليه.

تسمح مقارنة الفكر العربي المعاصر لهذه الإشكالية بالتمييز بين جانبين أساسيين في عملية المثاقفة في استقبال الآخر، وعملية استيعابه، لتستحيل المقاربة إما إلى التوفيق أو التلفيق. فالتوفيق مذهب يقوم على المفاعلة والتفاعل، لا يجمع من الأفكار والآراء والمفاهيم إلا ما كانت وحدته مبنية على أساس معقول، أي حضور الذات في الموضوع، في حين يقوم مفهوم التلفيق على جمع ما لا يجتمع، بنوع من القسر ما بين معاني وآراء مختلفة في مذهب يبدو ظاهريا كأنه واحد، في حين تظهر للمفقه متفقة، بسبب عدم الكشف عن التناقض المندس في بنيتها، لذلك شتان بين التوفيق والتلفيق.

وها هي مجلة فصل الخطاب لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي تستقطب الكتابات ذات القيمة المعرفية سواء داخل الوطن أو خارجه إيماناً منا ووفاءً لخطها المرسوم، لأنها تؤمن بأنه ليس ثمة حدود للمعرفة، وبأن الهم واحد وإن تعددت أقطارنا، مع الوفاء بأن نهج المجلة لا يتزاح عن تصور الحجاج في أبعاده المعرفية والتداولية والإجرائية، على أنه ليس ثمة فصل في المعرفة فري بنى متداخلة، يلزمنا أحيانا فقط الإجراء المنهجي قسرا في الفصل بين تخوم المعرفة التي غدت الجدود بينها رجراجة.

وهو ما سيلاحظه قارئ هذا العدد أو غيره من الأعداد السالفة من حضور للخطاب الأدبي بمختلف التوجهات والدراسات النقدية التي تبنته سواء إبداعا أو تنظيرا كما هي الحال في رحلة الثقافة العربية من الشعر إلى الرواية، و الرواية والشعرية، المفهوم والمصطلح، معيار الوحدة في القصيدة العربية القديمة، التوثيق النظري للأدب الإسلامي، والسمات الأسلوبية في شعر رمضان حمود، ومشهدية التصوير في شعر المقاومة الفلسطينية، والقراءة المستوياتية عند "عبد الملك مرتاض"، كما إن الخطاب الحجاجي لم يكن غائبا - كالعادة - وقد تمثل في كفاءة وقدرة الأساليب الحجاجية في الخطاب الإقناعي، كل ذلك دون إهمال منا للشق البلاغي خاصة الذي حضر في مقالات متنوعة وهي: المصطلح البلاغي واقع التوظيف، وأبعاد التعليم، وجمالية اللغة في الحوار القرآني وأخيرا مقال لسانيات النص بين الطرح العربي والتنظير الغربي.

نأمل أن تصلنا جهود أخرى في دراسات أخرى تثرى حياتنا المعرفية. ونحن هنا ندعو المشتغلين بمختلف الحقول المعرفية التي تصب في حقل الدراسات النقدية إلى أن مجلة فصل الخطاب ستكون فضاء مفتوحا لهم حيثما كانوا ودونما إقصاء.

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

والله نسأل أن نكون مثما يريدنا أن نكون

كفاءة وقطرة الأساليب الحجاجية

في الخطاب الإقناعي

الأستاذ: عبد الكريم إيزاري

جامعة مولاي إسماعيل - مكناس - المملكة المغربية

نحاول في هذه المداخلة ملامسة بعض الجوانب المتعلقة بنظرية الحجاج، والوقوف عن مدى كفايتها وإجرائيتها داخل الخطاب الإقناعي من خلال استعراض الخلفيات النظرية لمفهوم الحجاج، وتحديد موضوعه، والنظر في مراتبه، ثم سينصب الحديث عن العلاقة التي يمكن أن تكون بين الخطابة والحجاج والجدل، بالبحث في ثنايا المساحات المعرفية التي تشترك فيها هذه المعارف الاستمولوجية وختاماً استعراض وجهة نظر بعض المنظرين لنظرية الحجاج.

Competence and Capacity of the Argumentative Styles in the Persuasive Discourse

Abstract: The present article is an attempt to come into contact with some aspects of the argumentative theory, and stand on its adequacy and proceeding within the persuasive speech through the review of the theoretical backgrounds of the argumentative concept, and determine its subject matter, and consider its ranks, and then talk will be focused on the relationship, which can be between the rhetoric, the argumentative and controversy, by searching into the folds of the cognitive spaces, where this epistemological knowledge is jointly shared, and finally to review the viewpoints of some theorists of the argumentative theory.

1- النظرية الحجاجية مقاربات وإشكالات

1-1- حدود وتعريفات:

تختلف تعاريف الحجاج "Argumentation" من حقل معرفي لآخر، ومن زاوية استثمارية لأخرى، وحسب العلوم التي يوظف داخلها أساساً أو عرضاً، ووفق قوامها الاستمولوجي أو المنهجي، إلا أن التعاريف كلها وكيفما كانت انبثاقاتها المعرفية وحقولها التجريبية، يجمعها -في نهاية المطاف- ذلك الخيط الرابط بين قواعد المنهج الحجاجي وغاياته، وهو الخيط الجامع بين العقلية والإقناعية في القضايا والأطروحات التي تساق حجاجياً، وهذا ما يؤدي إلى مصداقية الحجاج ومشروعيته، كلما احتاج المقام الحجاجي أو محيطه إلى تبرير مسطرته الاستدلالية أو الإجرائية، على صعيد اللغة أو الخطاب.

تاريخ تسليم البحث: 17 ديسمبر 2015.

تاريخ قبول البحث: 06 أبريل 2016.

وقال في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى: { ولا تُجادل عن الذين يختانون أنفسهم }⁸:
" والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"⁹؛ وقال في موضع آخر: " المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجة عليه وتكون في الخير كقوله "يجادلنا في قوم لوط" وتكون في الشر كقوله " ولا جدال في الحج "¹⁰.

والجامع بين معني اللفظين هو المخاصمة؛ لكنها في الحجاج قائمة على الباطل عادة كما أشار إلى ذلك ابن عاشور، في حين أن الجدل منه ما هو حق وما هو باطل"¹¹.

وفي مقام آخر، إذا كان الحجاج أوسع من الجدل على اعتبار أن كل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلا، فإنه هو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، من حيث إن الجدل والخطابة "قوتان لإنتاج الحجج"¹²، وإن كان نوع الحجة في الواحد غير نوعها في الآخر. لقد حددت المحاجة أو الحجاج عموما بكونها: " سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة أو هي الطريقة التي تطرح بها الأدلة"¹³. ومعلوم أن هذه الأدلة أو الحجج يمكن أن تكون استقراء أو قياسا ظاهرا، ومجال ذلك الجدل. ومثلا أو ضميرا، ومجال ذلك الخطابة مع ما بين أنواع هذه الحجج من تداخل وتماس. ومعنى هذا أنه يوجد على الأقل حجاجان: الأول جدلي، والثاني وخطابي.¹⁴

إن الحجاج في بعده الخطابي من مثل ما عرض له أرسطو في كتاب "الخطابة" هو حجاج "موجه إلى جمهور في أوضاع خاصة وضمن سياقات وموضوعات معينة، والحجاج هنا ليس من أجل التأثير النظري العقلي وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات،¹⁵ وإلى إرضاء الجمهور واستمالاته، ولو كان ذلك بمغالطته وخداعه وإيهامه بصحة الواقع"¹⁶ على نحو تبدو معه الخطابة – من هذه الناحية على الأقل- من قبيل التخيل"¹⁷.

وإذا حاولنا المقارنة بين ما جاء عند أرسطو يلاحظ التجاذب الحاصل في منطقة مشتركة بين الخطابة والشعر، وأقصد هنا مفهوم التخيل الذي يظهر ويختفي في مجال الخطابة حسب سياقات ومقامات العملية التواصلية والحجاجية. بينما في الشعر ظهوره أكثر من اختفائه. وحد أو تعريف التخيل بحسب عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ / 1078م) أنه " ما يثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلاً ويدعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها ويقول قولاً يخدع فيه نفسه"¹⁸.

نصل من خلال إيراد هذا التعريف الأرسطي المقرون بالتعريف الذي أتى به الجرجاني إلى أن ارتباط الحجاج الخطابي من هذا المنظور بالمغالطة والإيهام والخداع قد يكون هو الذي حدا بأرسطو إلى أن يقول عن الخطابة: " هي من ناحية تشبه الجدل ومن ناحية أخرى تشبه التفكير السوفسطائي"¹⁹، يؤكد هذا الطرح السابق بارتباط التخيل أكثر بالشعر وابتعاده عن

لهذا المفهوم. فما هو مفهوم الحجج في الثقافة الغربية؟ وما هي تجلياته في الخطاب؟ وما تمثالاته الفكرية والأدبية لدى أقطاب النظرية الحجاجية؟

1-2-2- في التصور الغربي:

أما في التصور الغربي فقد أخذت كلمة Argument من الفعل اللاتيني Arguere، وتعني جعل الشيء واضحا ولامعا وظاهرا، وهي بدورها من جذر إغريقي، ويعني أبيض لامعا²³. ويشير المصطلح Arguere في اللغة الإنجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل واحد منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب أو العلل التي يراها حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما²⁴. ويحدد أندري لالاند André Lalande²⁵ معنى الحجج من خلال تقديم المعطيات التالية:

- 1_ الحاجة أو الحجج: هي سلسلة من الحجج تنتهي بشكل كلي إلى تأكيد النتيجة نفسها، والحجج طريقة في تنظيم الحجج واستعراضها أو تقديمها لجمهور يكون مستهدفا؛
- 2_ الحجة: وهي بمثابة استدلال موجه لتأكيد قضية معينة أو دحضها، أو تفنيدها، وهناك من يعتبر كل حجة دليلا؛

3_ الدليل: إنه عملية التوجه العقلي بصورة يقينية ومقنعة. وبذلك يتخذ الدليل صورة استدلال تصير فيه النتائج منسجمة مع المقدمات التي انطلقت منها. ويحيل الدليل من جهة أخرى على الواقع، ليأخذ من ثمة مضمونا ماديا تصبح بموجبه الأحداث والوقائع والوثائق بمثابة أدلة. ويتميز الدليل عن الأشكال الأخرى للاستدلال بميزة الحقيقة. إذ إن كل ما يحمل عليه يعتبر في غالب الأحيان حقيقيا؛ وهذا، في نظري، ما يسمو بحقيقة الدليل ويحقق قطعته في عملية الإثبات على خلاف الحجة التي تكون في المقابل أقل إثباتا

- 4- البرهنة: هي استنباط يوجه لتأكيد أو إثبات سبق نتيجة، وذلك بالاستناد إلى مقدمات معترف لها بميزة الصدق أو الحقيقة. وتتجلى في المجال المنطقي بشكل مباشر وواضح. ولا يختلف التحديد الذي نجده عند فولكي عما ورد عند لالاند، إلا في توسعه في عرض بعض التحديدات؛ فالحجة عنده هي بمثابة اعتبار موجه لإثبات أطروحة أو دحضها، وبهذا المعنى ترادف الحجة الدليل، أو الاستدلال والتبرير.²⁶

وفي اللغة الفرنسية – على سبيل المقارنة- نجد لفظة Argumentation تشير إلى عدة معان متقاربة أبرزها على وجه الخصوص، حسب قاموس روبير، ما يلي:

- 1- القيام باستعمال الحجج. والمجال الأنسب لتحقيق هذا التصور هو المجال التداولي.

خاتمة وفكرة الأساليب الحجاجية، في الخطاب الإقناعي _____ مجلة فصل الخطاب

2- مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، في سياق الدفع نحو تكوين الرأي، أو الرأي المخالف.

3- فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة، ويبرز هذا التجلي في المناظرات السياسية منها.

وفي القاموس ذاته نجد Argumenter تشير إلى "الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج"²⁷. مدعمة لرأي الخطيب أو منتج الخطاب، أو الشخص الذي يود إقناع الآخر بجدوى فكر معين أو فرضية يتوسل بكافة الحجج من أجل تأكيد فعاليتها.

واستنادا لما تقدم حول تصور النظرية الحجاجية وفق المنظور الغربي، وفي خضم الدراسات العديدة والمتنوعة للقضايا الحجاجية في الآونة الأخيرة لا يمكن الجزم بتوحيد مفهوم الحجاج. ولما أصبح من المؤكد استحالة الوقوف على تعريف موحد لهذا المفهوم، سنحاول استقراء ما جاء عند المؤلفين بيرلمان وتيتيكاه في عملهما الضخم " مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة"²⁸. مستعنيين ببعض الكتابات والدراسات التي تناولت موضوع الحجاج بكل آفاقه وتجلياته بالدرس والتحليل.

3-1- موضوع الحجاج

حدد المؤلفان شايم بيرلمان وتيتيكاه موضوع الحجاج بقولهما: " هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"²⁹.

فالإلمام بتقنيات الخطاب الحجاجي من حيث تكوينه، وتركيبته اللسانية، واحترام السياقات الخاصة، والمقامات والظروف التي أنتج فيها الخطاب، من شأن كل هذه المكونات أن تجعل المخاطب يسلم بالمقاصد والغايات المتضمنة في الخطاب أو التي يهدف إليها منتج الخطاب الحجاجي.

وإذا كان هذا هو موضوع الحجاج كما اتضح أعلاه، فغاياته تتمثل في "أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل بشكل يستجيب للعمل المطلوب، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"³⁰.

فالبحث عن الحجة الملائمة والمنسجمة مع مستوى أسمع المتلقي وإدراكه الفكري واللغوي تجعل العملية الحجاجية في شكلها التواصلية معقنة. وتسعى العملية الحجاجية إلى

التواصل بالطرق الناجعة لحمل المتلقي على الاقتناع بالخطاب الحجاجي الموجه له من جهة، وحمله كذلك على الإذعان والاتفاق على ما جاء به هذا الخطاب من أفكار وآراء. ومعلوم أن الاقتناع والذي هو غاية الحجاج يأتي بحسب المؤلفين بيرلمان وتيتيكاه في المنطقة الوسطى بين الاستدلال والإقناع.

فالاستدلال يقتضي أن تكون كافة عناصره المكونة له غير قائمة على التعدد والاشتراك، فهي أحادية المعنى، بحيث تكون هذه العناصر مما يفهمه الناس جميعا بدون اختلاف بينهم، ولا يثير تأويلها أية مشاكل أو مسائل خلافية بينهم. والاستدلال غير مرتبط كذلك بمقام مخصوص وهو في خصائصه على عكس الحجاج تماما، حيث يكون التعدد والاختلاف والخصوصية والارتباط بالمقام.

انطلاقا مما سبق يظهر أن الحجاج مجاله يقترب من الخطابة، وبالتالي فهو يبتعد عن مجال الاستدلال، الذي يتوافق في معظمه مع المنطق. إن الاستدلال هو أن تستنبط من المقدمات نتائج تفضي إليها تلك المقدمات ضرورة دون أي لبس. وهو مجال بحث المناطقة الذين يسعون إلى شكلنة الأنظمة بصرف النظر عن محتوياتها.

وإذا كانت الحقيقة هي الهدف في العملية الاستدلالية، فإنها في الحجاج ليست مضمونة ولا هي واحدة أو ضرورية أو مفارقة أو متعالية أو موضوعية، إنها في السلسلة الحجاجية نسبية ذاتية مرتبطة بالمقام ولا تكون إلا تحت أنظار جمهور كوني أو خاص.

و كما أن الحجاج ليس موضوعيا محضا، فإنه ليس ذاتيا محضا، بمعنى أنه ليس إقناعا على اعتبار أن الإقناع يكون موجها لمخاطبة الخيال والعاطفة، مما لا يدع مجالا لإعمال العقل والحرية والاختيار، إذ من مقومات الحجاج عند المؤلفين حرية الاختيار على أساس عقلي، والإذعان يكون بواسطة الاقتناع. وفرق ما بين الاقتناع والإقناع. فالإنسان في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه، مستعملا في ذلك آلياته التأويلية والتحليلية، في حين أنه في حالة الإقناع يكون غيره هو الذي يقنع بفكرة ما أور رأي آخر بعرضه للحجج والأدلة التي تقنعه بجدوى ذلك الرأي أو قيمة تلك الفكرة.

ومن هذا المنطلق نخلص إلى أن الحجاج ينقسم بحسب نوعية المتلقي أو الجمهور المستهدف إلى قسمين رئيسيين هما: الحجاج الإقناعي والحجاج الإقناعي، الأول يهدف إلى إقناع الجمهور الخاص، والثاني يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل وهو عام. وبما أنه في غالب الأحيان يركّز في العملية الحجاجية على الأخير فإنه يعتمد على الاقتناع لا على الإقناع فهو أساس الحجاج وخاصيته.

2_ في مراتب الحجاج

إن الناظر في طبيعة الحجة المستعملة في العملية الحجاجية يستنتج أن هذه الحجة ليست واحدة في طبيعتها، بل العكس من ذلك فهي تَرْدُ بحسب السياق أو الرأي الذي يحاول منتج الخطاب الدفاع عنه، فنجد أنواع من الحجج تظهر وتختفي في الخطاب بحسب المقام التداولي، والسياق العام الذي يلقي فيه الخطاب. ومن بينها:

أ- "الحجة البرهانية: هي الحجة التي تفيد اليقين وتتألف في القياس من مقدمات يقينية على هيئة تفيد نتيجة يقينية، واليقين فيها مساو لليقين في المقدمات. وهذه الحجة البرهانية طريقها أحد طرق الاستدلال المباشر أو القياس الصحيح المصوغ وفق أحد الأشكال المنتجة بيقين."³¹

ب- الحجة الجدلية: هي حجة قائمة أو مؤلفة من مقدمات مشهورة تعتقد الجماهير مضمونها اعتقادا مقاربا لليقين، فلا يشعر الذهن في أول النظر بأن نقيضه ممكن، أو هي المؤلفة من مقدمات يسلم بها المخاطب ولكن هذه المقدمات لا ترقى في حقيقة حالها إلى مرتبة اليقين التام. وتقدم هذه الحجة الجدلية في أي طريق من طرق الاستدلال المباشر أو غير المباشر (في التقابل- في العكس- في شكل منتج من أشكال القياس الصحيح- في الاستقراء- في التمثيل...)³².

ج- الحجة الخطابية: هي حجة لا تلزم الطرف الآخر بالأخذ بها، ولكنها تفيده ظنا راجحا مقبولا أو هي تعتمد على مقدمات ظنية سواء سلم بها المخاطب أو لم يسلم وسواء أفادته ظنا راجحا أو لم تفده لكنها من وجهة نظر المستدل بها تفيد ظنا راجحا. وهذه الحجة تصلح في التعليمات والمخاطبات، وتصلح للإقناع بوجهة نظر صاحب الحجة، أو لإقناع بعذره فيما ذهب إليه من مذهب فقهي أو حكم قضائي، أو فيما انتهى إليه من نظرية علمية، أو فيما قرره من أمر أو رأي سياسي أو إداري أو اجتماعي أو غير ذلك من شؤون الحياة.

وتقدم هذه الحجة الخطابية في أي طريق من طرق الاستدلال المباشر وغير المباشر. إن معظم شؤون الحياة تعتمد على الحجج الخطابية المستندة إلى مقدمات تشتمل على ظن راجح من وجهة نظر من يحتج بها، وهذا الظن لا يبلغ مبلغ اليقين وليس مشهورا بين الناس كشهرة اليقين، ولا يشترط فيه أن يكون المخاطب مسلما بمقدماته أو غير مسلم بها. د- الحجة الشعرية: هي الحجة التي لا يشترط فيها أن تفيد ظنا راجحا مقبولا بل قد تعتمد على مقدمات وهمية وصور كاذبة لا تخفى على المخاطب. إلا أنها تشتمل على ما يتلاعب بمشاعر المخاطب النفسية. فيتأثر بها ويستجيب لمضمونها وقد يكون عالما فكريا بعدم صحتها.

ومن الطبيعي أن هذا النوع من الحجج لا يفيد يقينا ولا يفيد ظنا راجحا. وإنما يستخدم لتحريك مشاعر الرغبة، أو مشاعر الرهبة. ولتحريك مشاعر الإقبال أو مشاعر النفور. ولتحريك مشاعر الجود أو مشاعر البخل. والمخاطب تتحرك مشاعره فتنبسط نفسه أو تنقبض. ولو كان عارفا ببطلان الحجة الشعرية.

3_ الحجاج والبلاغة

ونحن نتحدث عن الحجاج يعترضنا دائما السؤال المنهجي التالي: ما حدود هذا المصطلح، وما تقاطعاته، وما امتداداته وغيرها من وجهات النظر المختلفة، وتبقى علاقة الخطابة بالبلاغة من بين أهم مظاهر هذه الإشكالية المصطلحية، فإذا كان التمييز بين الخطابة والبلاغة يبقى دائما في حدود المحتمل والنسبي، في المفهوم الغربي، كما ألمحنا غير مرة فيما سبق. أما عربيا فيبدو الأمر واضحا بينهما فالبلاغة تعتبر أشمل وأعم من الخطابة، والتي هي جنس من أجناس التواصل وفن القول. وقد كانت شديدة الارتباط بالشعر عند العرب. إنها نوع من التخاطب والقول، في حين أن البلاغة هي بعد أسلوب في هذا القول.

إن مفردة الخطابة في الفكر اللغوي العربي مأخوذة من خطبة، أخطب، خطابة... وهي ذات موضوع، وذات وظيفة أيضا، هما موضوع ووظيفة الخطبة. وبما أن الخطابة هي فن القول، فإن هذا القول له بناؤه وأسلوبه، وأهم ما يميز هذا الأسلوب الخطابي هو أنه إقناعي وبلاغي. وكما أشرنا في ما سبق فأرسطو فصل بين الخطابة (الريطوريقا) وبين الشعر (البوتيقا) فالخطابة في منظوره هي قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة، وبالتالي فالعملية الإقناعية أو الفعل الإقناعي يتطلب قواعد ووسائل يمكن اعتبارها منهجية وتدخل في صميم البناء والتنظيم. والجدير بالذكر أن من عناصر الخطابة عند أرسطو هناك: وسائل الإقناع أو البراهين، والأسلوب أو البناء اللغوي، وترتيب أجزاء القول ثم الإلقاء.

واستنادا إلى ما ذهب إليه البلاغيون العرب³³ من كون البلاغة في مجملها تهدف إلى الوضوح والتأثير. وبما أن البلاغة أخذت في هذا الإطار وضمن هذا السياق الفكري العام كمحدد أساس للخطابة. لأن الخطابة تخاطب جمهورا معينا، ومن ثمة حاجتها للبلاغة لإقناعه والتأثير فيه. ومن منطلق أن الخطابة تحتاج للبلاغة، فإنها تحتاج كذلك للصور البلاغية وللحجج والحجاج. فالتأثير والاستمالة يتطلبان الإبانة والوضوح وأساليب الإقناع. ومن هذا المنطلق يجب الإقرار بوجود حجاج بلاغي يجد عناصره الأساسية في المعاني البلاغية كأدوات إقناعية مثل الشاهد والاستشهاد والحجة والدليل والاستدلال.

انطلاقا من تصور أن الخطابة تحتاج إلى البلاغة، فإنها تحتاج كذلك للصور البلاغية وللحجج والحجاج، فالتأثير والاستمالة يتطلب الإبانة والوضوح وأساليب الإقناع. ومن هذا

2. فائدة وفائدة الأساليب الحجاجية، في الخطاب الإقناعي _____ مجلة فصل الخطاب

المنطلق يجب الإقرار بوجود حجاج بلاغي يجد عناصره الأساسية في المعاني البلاغية كأدوات إقناعية مثل الآليات الحجاجية التالية: الحجة والدليل والاستدلال والشاهد والاستشهاد... الخ.

"إن الشاهد هو عنصر من عناصر الحجاج، كما أنه مرادف للحجة والدليل والبرهان، إذ به يحصل التصديق والاستدلال والبرهنة على صدقه. فالحجاج البلاغي القائم على الشواهد اعتبر عند الجاحظ دعامة أساسا لإرساء الحقائق وصرح العلم، "فمدار العلم على الشاهد والمثل..."³⁴.

يستمد الجاحظ دور الشاهد والمثل في العلم من عادة العرب في هذا المجال. وكثيرا ما كان يجعل من الحجة والدليل والشاهد أشياء مترادفة ومتطابقة، يقول الجاحظ في هذا السياق: " وكان المقنع الكندي الشاعر، واسمه محمد بن عمير، كان الدهر مقنعا، والقناع سيما الرؤساء، والدليل على ذلك والشاهد الصادق والحجة القاطعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يكاد يرى إلا مقنعا"³⁵.

انطلاقا مما سبق يصبح الدليل أو الحجة متمثلين في أقوال يستدل بها ولا يطالها الشك، أو حالات وأفعال تقوم مقام المرجع والقوة"³⁶.

إن الحجاج البلاغي قد تعدى نطاق الخطابة ليجد مكانته المنهجية في حظيرة العلوم والكتابة، مع احتفاظه بخصائصه الأصلية من قبيل: كسب تأييد المتلقي في شأن قضية أو فعل مرغوب فيه من جهة، ثم إقناع ذلك المتلقي عن طريق إشباع مشاعره وفكره معا. حتى يقبل ويقتنع بالقضية المعروضة على أنظاره وبهذا المعنى يصح القول إن الحجاج البلاغي هو حجاج موجه للقلب والعقل معا. إذ يجمع بين المضمون العقلي للحجة وصورها البيانية، أو بين التبرير العقلي والمحسنات البيانية.

وإذا كانت أساليب الحجاج البلاغية تتميز بمعايير أدبية وفنية، فإنه سرعان ما امتدت اليوم إلى جل أنشطة اللغة والقول، بل أكثر من ذلك شملت المجالات والمنتديات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ وفي هذا السياق يقول ميشيل ماير M. Meyer: " إن كل شيء قد أضى تواصلا، من الصداقة إلى الحب، ومن السياسة إلى الاقتصاد. حيث نجد العلاقات تفسخ وتقام بناء على نجاح أو فشل البلاغة"³⁷.

إن البلاغة هي قبل كل شيء عتاد بنائي وتبليغي يتوسل به الخطيب، أو القائل عموما بغرض فرض رأيه أو موضوعه أو اقتناعه، ولأجل كسب تأييد الآخر أو التأثير فيه. إلا أن الصور البيانية والحيل المجازية واللغوية وحدها لا تحقق التصديق والتدليل ما لم تسند بأدوات ترجيح الرأي وتسويغه عقليا، وهذه الأدوات هي التي يوفرها الحجاج أو المحاجة"³⁸.

ومن خلال استعراضه لبعض أوجه العلاقة والتقاطع بين الحجاج والبلاغة، يخلص الباحث الحبيب أعراب إلى وجود حجاج يمكن نعتة بالبلاغي "أي هناك صنف من الحجج يخضع في بنائه وترتيبه لقواعد البلاغة والبيان، ويتسم هذا النوع من الحجاج بالسمات التالية:

- اندماجه عضويا بالخطابة في شكلها المكتوب والمنطوق.
- اشتراطه لرغبتين هما إرادة المتكلم (المؤثر والمقنع) وإرادة المتلقي (المتأثر والمقنع).
- خضوع حججه للتراتبية والتنظيم: القوة، الضعف، البدء، الختم، الإبطال، الإثبات.... إلخ.
- اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإمتاعي أو الجمع بين البيان والبدیع؛
- عدم قابليته للقولية والصياغة المنطقية الشكلية والرمزية.
- ويمكن اختصار أهم أهداف الحجاج الخطابي والبلاغي في العناصر التالية:
- التأثير في المتلقي (السامع أو القارئ) وجعله يتقاسم مع المخاطب اعتقاده واقتناعه الخاص؛

- التأثير في المتلقي لجعله يقوم بالفعل الذي يطلبه ويريده المخاطب؛
- استمالة وإغراء المتلقي باعتباره ذهنًا وعاطفة (عقلا وقلبا) لكسب تأييده وتوافقه الضمني أو الصريح.

واعتبارا لخصائص الحجاج البلاغي وأهدافه، فإن الحجاج، سواء كان استدلالا أو سجالا، في الحقول التواصلية والمعرفية الأخرى مثل السياسة والقضاء والفلسفة، لن يتخلص كلية من رواسبه البلاغية والخطابية. فالحجاج الذي يتغذى من اللغة الطبيعية وهاجس الإقناع والتأثير سيظل دائما محتفظا بقدر معين من البلاغة والخطابة"³⁹.

4_ عن علاقة الحجاج بالخطابة والجدل

يترجم عبد الله صولة رأي مؤلفي "مصنف في الحجاج" لتبيان علاقة الحجاج بالخطابة والجدل وينقل قولهما: "أنه ما من محاجة إلا والباعث علمها وجود شك في مدى صحة فكرة ما. إن المحاجة تفترض أن هناك فكرة ما ينبغي تدقيقها والتشديد عليها وبدون ذلك التدقيق والتشديد تبقى غامضة وغير واضحة بما فيه الكفاية، فلا يمكن فرضها على المتلقي الفرض القوي الذي ينبغي أن تفرض به"⁴⁰.

إن أولى الملاحظات التي أقر بها المؤلفان حول التمييز التقليدي بين موضوعي الجدل والخطابة على اعتبار أن الأول يؤثر في الذهن والثاني يؤثر في الإرادة، هو أن هذا التمييز بين الضربين المذكورين من التأثير تمييز مغلوط ومن شأنه أن يؤدي إلى مأزق.

خاتمة وفكرة الأساليب العجاجة، في الخطاب الإقناعي _____ مجلة فصل الخطاب

فأما وجه الغلط فيه فتصور الإنسان مركبا من ملكات بعضها منفصل عن بعض انفصالا تاما (العقل من ناحية والهوى من ناحية أخرى، وهو فصل ربما يعود إلى أفلاطون في تصوره لقوى النفس).

وأما وجه المأزق فيتمثل في نزعنا عن العمل المبني على اختيار كل تبرير عقلي. وهذا يعني أن سلوك الإنسان وممارسته لحريته من قبيل العبث واللامعقول والعمل غير المسؤول. وعلى هذا يرى كل من بيرلمان وتيتيكاه أن الحجاج غايته إحداث التأثير العملي الذي يمهّد له التأثير الذهني، ويبدو انطلاقا من ما سبق أن بيرلمان وتيتيكاه يجمعان بين جدل أرسطو وخطابته، يتضح ذلك جليا من خلال تعريفهما للحجاج بكونه: "العلاقات الجدلية القائمة بين الفكر والعمل"⁴¹.

وإذا كان الحجاج وجهته هي المستقبل، فإن الغاية منه أن يؤدي إلى حصول عمل ما، أو الإعداد له. ويكون ذلك بالتأثير في الذهن بواسطة الوسائل الخطابية. وأهم نوع من أنواع الخطابة يحدث فيه هذا الضرب من التأثير هو نوع الخطب البرهانية، فإذا كان نوع الخطب المشوري Délibératif يشير بما هو نافع أي بما هو أفضل، وكان نوع الخطب القضائي Judiciaire يدافع عما هو عدل، فإن نوع الخطب البرهاني Epidictique مداره على المدح والذم، فهو لا يهتم إلا بما هو جميل وقبيح.

إن النوع البرهاني في نظر المؤلفين هو واسطة العقد في فن الإقناع؛ ذلك أن الغاية من الحجاج بواسطة الخطب البرهاني أن يزيد في درجة الإذعان لبعض القيم، فالخطيب في الخطاب البرهاني يسعى إلى إحداث الإجماع حول بعض القيم التي يقول بها الجمهور. وهو يستعين بمجمل الوسائل التي يتيحها له فن الخطابة لكي يتم تلك القيم ويعظمها. ويستخدم نوع الخطاب البرهاني كل طرائق فن الأدب التي من شأنها أن تساعد أو أن تجعل الجمهور المتلقي يقاسم مرسل الخطاب أو منتجه بالأحرى، آراءه ومشاعره. والنوع البرهاني هو النوع الوحيد القريب من الأدب لاعتماده الوسائل الأدبية .

إن الحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه غير الخطابة فهو يختلف عنها من جهتين: من جهة نوع الجمهور؛ ففي الخطابة يفترض أن يكون الجمهور مجتمعا في الساحة يستمع إلى الخطيب، في حين أن جمهور الحجاج يمكن أن يكون عاما حاضرا أو غائبا، كما يمكن أن يكون منشأ الحجاج بين شخصين اثنين متحاورين أو بين المرء ونفسه. من جهة نوع الخطاب؛ فالخطابة حصرت الخطاب فيما هو شفوي، والخطاب الحجاجي يمكن أن يكون منطوقا كما يمكن أن يكون مكتوبا.

ومن نافلة القول أن حضور المتلقي في عملية إنتاج الخطاب الإقناعي ضروري، إلا أنه يختلف تواجد هذا المتلقي؛ فهو في الخطابة يكون موجودا عمليا، غير أنه في الحجاج، إن لم يكن موجودا بالفعل، فاللازم استحضاره في الكتابة، إذ الكاتب يستحضر الجمهور المستهدف ويكيف كتاباته وفق هذا الجمهور.

وقبل الحديث عن منفعة كل من الخطابة والجدل في علاقتهما بالحجاج، يجدر بنا أولا الوقوف عند مصطلحي الحجاج الجدلي والحجاج الخطابي أو الخطبي؛ " فبين الحجاج الجدلي والحجاج الخطبي فرق في الاتجاه، فالحجاج الأول تبكيتي، والحجاج الثاني إقناعي.

إن الحجاج الجدلي ينطلق من قضية يجهد المجيب (المتلقي) في حفظها، ويبحث السائل (المرسل) عودا على بدء، على القياس النافي لها ويبني إستراتيجية لها بها يرغم المجيب على أن يسلم له بنفسه مقدمات ذلك القياس النافي. فهو حجاج يفك الإقناع إن جاز القول. وفي نهاية الجدل لا يكون المجيب مقتنعا بالضرورة بما قاله السائل، وإنما يكون في وضع من لم يجد ما يرد به عليه ويحصل أن يهتدي في وقت لاحق إلى من يظفر به في أثناء الحجاج. أما الحجاج الخطابي فهو حجاج يقصد به الخطيب إلى أن يقنع الجمهور بحكم ما، فيبني وحده استدلالا يجعله به مقتنعا بذلك الحكم فهو حجاج إقناعي⁴².

مقصد الحجاجين هو الحكم، غير أن الحجاج الجدلي يقيم مسافة بين السامع والحكم الذي كان له في بداية الجدل. والحجاج الخطابي يرفع المسافة بين السامع والحكم الذي يريده الخطيب أن يقتنع به. فالاتجاه الحجاجي في النمطين مختلف؛ يقيم في أحدهما مسافة، وينفي حكما، ويرفع في الثاني مسافة ويبني حكما.

5_ مبررات وصل الحجاج بالخطابة

5_1_ وجهة نظر بيرلمان وتيتيكاه

أول هذه المبررات الخلط الذي يمكن أن يجره هذا الرجوع إلى أرسطو، فإذا كان مصطلح الجدل قد بقي لقرون يدل على المنطق نفسه، فقد أخذ هذا المصطلح منذ هيجل وتحت تأثير المذاهب التي استلهمت تصوراته مدلولاً جديداً بعيداً عن معناه الابتدائي، وقد حضي هذا المدلول على وجه العموم بقبول كبير في الاصطلاح الفلسفي المعاصر. والأمر خلاف ذلك بالنسبة حينما يتعلق بلفظ الخطابة الذي أهمل في التداول الفلسفي حتى أننا لا نجد له ذكراً في المصطلحات الفلسفية.

غير أن هناك مبرراً آخر ذا أهمية أكبر، وهو بالذات ذاك الجو الذي طبع الانشغال القديم بالجدل والخطابة، فلقد اعتبر الاستدلال الجدلي موازياً للاستدلال التحليلي، غير أنه يدرس الأمور التقريبية بدل دراسة القضايا الضرورية. إن هذه الفكرة ذاتها التي ترى أن الجدل

خاصة به أساسا، نظرا إلى منزعه الامتحاني الذي يفتح له الباب لفحص المبادئ في فروع المعرفة جميعا"⁴⁵.

يستنتج مما قيل أن الحجاج الجدلي في رأي أرسطو ينتفع به في مجالين اثنين: مجال البحث الفكري ومجال تغيير الاعتقاد. إنه قول يعرض حركة الفكر بين الإثبات والنفي، بل هو قول يكشف عن أهمية النفي في البحث.

أما منافع الخطابة في نظر أرسطو وحسب ما جاء في المقالة الأولى من كتابه: "هي مفيدة لأن الصادق والعاقل أفضل طبعاً من مضاديهما حتى أن قرارات القضاة إذا جاءت على غير ما ينبغي فإن الإخفاق مرجعه إلى الخطباء أنفسهم ويجب أن يلاموا تبعاً لذلك"⁴⁶.

انطلاقاً من هذا فمدار النفع في الخطابة عنده "صناعة القول الضامن للقيم الأربعة الواجب مراعاتها في شؤون الاجتماع والسياسة"⁴⁷. وهذه القيم هي: العادل والخير والنافع والجميل. وهي قيم مركزية ومحاور أساسية تبنى عليها نظريته الخطابية.

وكما سبق ورأينا في محور سابق من هذا العمل، تعد هذه القيم مرتكزا أساسيا أو مدخلا أساسيا في التمييز بين الأجناس الخطابية الثلاثة، إذ "لكل نوع من هذه الأنواع غاية خاصة مختلفة، ولما كانت أنواع الخطابة ثلاثة فهناك ثلاث أنواع من الغايات: فغاية الخطيب المشاور هو النافع أو الضار، لأن من يحض يوصي بمسلك بوصفه الأحسن، ومن ينهى ينصح بتجنب مسلك لأنه الأسوأ. وكل الاعتبارات الأخرى مثل العدل والظلم والشرف والخسة مندرجة كلواحق في هذا. وغاية الخطيب في المنازعات القضائية هو العادل أو الظالم، وفي هذه الحالة أيضا، تندرج سائر الاعتبارات كلواحق وغاية من يمدح أو يذم هو الشريف والخسيس، وترد سائر الاعتبارات إلى هذين."⁴⁸.

نستنتج من كلام أرسطو أن من مهام الحجاج الجدلي تحصين القول باعتباره يفحص قضايا الفكر ويفحص جوانب من الأحكام المتعلقة بالسلوك، أما مهمة الحجاج الخطابي فهي تحصين القيم الجامعة في المجتمع.

وعن علاقة الخطابة بالجدل استعمل ابن سينا في شرح لهذه العلاقة مصطلحين اثنين هما "المشاركة" و"المشاكلة" قال: "الخطابة قد تشارك الجدل باعتبار وتشاكله باعتبار، أما المشاركة فمن جهتين: إحداهما في القصد والثانية في الموضوع. أما المشاركة بالقصد فلأن كل واحد منهما يروم الغلبة في المفاوضات (...) والجهة الثانية من الجهتين الأولين أنه ليس ولا لواحد منهما موضوع يختص به نظره (...) وأما المشاكلة فلأن مبادئهما جميعا المحمودات. لكن الجدل محموداته حقيقية، والخطابة محموداتها ظنية"⁴⁹.

خاتمة وفكرة الأساليب الحجاجية، في الخطاب الإقناعي _____ مجلة فصل الخطاب

أما ابن رشد فله تصور آخر لعلاقة الخطابة بالجدل، فهما يتوحدان في الجهة المستهدفة من الخطاب الحجاجي، كما يشتركان في موضوع يمكن أن يكون واحداً، ما دام أن لكل من الخطابة والجدل نفس قاعدة المعطيات في النظر للشيء نفسه يقل بهذا الخصوص عن علاقة الخطابة بالجدل: "إن صناعة الخطابة تناسب صناعة الجدل وذلك أن كليهما توأم لهما غاية واحدة وهي مخاطبة الغير (...) وتشتركان بنحو من الأنحاء في موضوع واحد إذ كانت كليهما تتعاطى النظر في جميع الأشياء"⁵⁰.

6_ وهم التعريف

إن شرح الحجاج وتوضيحه يمكن أن يتيح الفرصة لشكلنة تبين بنيته، وتوضح طابع الضرورة المنطقية للنتيجة فيه. إلا أن الوهم يبدأ حينما يشمل التنظير ما هو خاص على أنه عام "إن كل حجاج لا يمكن أن يأخذ طابع الصرامة القاهرة في حد ذاته. فالمقدمات لا يتوجب أن يصرح بها كلها، وبنيات اللغة، على الرغم من أنها حجاجية، لا يمكن صياغتها وفق النموذج العلمي، بل ولا حتى وفق نموذج الجزم الذي يعبر عن معناه، والذي يبدو أنه لا يعود إلى السياق لأجل ذلك".⁵¹

إن الحجاج بهذا المعنى يشير إلى الخطاب الصريح أو الضمني المكتوب أو المقروء الذي يستهدف الإقناع والإقناع معاً، مهما كان متلقي هذا الخطاب، أو استحضار المتلقي المفترض كما سبق أن رأيناه في الفصل الثاني من هذا العمل، ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك. وهذا المعنى هو الذي يأخذ به أغلب منظري نظرية الحجاج المعاصرة كشاييم بيرلمان Ch. Perlman وميشيل مايير M. Meyer حيث يقول هذا الأخير: "يعرف الحجاج عادة بكونه جهداً إقناعياً. ويعتبر البعد الحجاجي بعداً جوهرياً في اللغة لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه"⁵².

إن الفعالية الحجاجية كفعالية خطابية لا تظهر وتتجسم لغوياً إلا بمهارات أسلوبية وتأثيرات بلاغية، فهذه العوامل تخضع للشروط الإبداعية والابتكارية كمتطلبات جمالية وألبسة يتلبسها مسار الحجاج وعلاقاته الداخلية. هكذا، تتفاوت قيمة هذه العوامل من نص حجاجي إلى نص آخر، فالأساليب ومهارات البيان والتبيين تقوي الحجج وتزيد من فعاليتها، أي تعمل لصالح التأثير والإقناع. لذلك يمكن النظر إليها كظواهر أدبية وخطابية قائمة الذات، كما يمكن النظر إليها في علاقتها بأدوارها الحجاجية وقيمتها الإقناعية. إلا أن عرض البنية الحجاجية لنص ما يتطلب الاختصار والإبعاد والتعرية. ولتتضح تلك البنية ومكوناتها الوظيفية والعلائقية فمن اللازم إبعاد التعابير والبلاغات والصور التي لا تشكل الحجاج ذاته بل إخراجها واستعراضه فقط.

لقد عني بعض البلاغيين والأسلوبيين بتحديد وتصنيف أنواع الحجج والأساليب الحجاجية، خاصة في مجال الخطابة. ولا شك أن أنماط الحجج وأساليب المحاجة هي عديدة جدا، مما يصعب على المهتم بها حصرها وتنميطها وتنميطا نهائيا. وقد حاول روبريو J. J. Robrieux أن يفعل ذلك في كتابه "عناصر الخطابة والحجاج"⁵³.

إن اللغة، باعتبارها نسقا دلاليا لفظيا استراتيجيا في التواصل الإنساني، تتفوق على باقي الأنساق الدلالية الأخرى بكونها تمدنا بالمعنى، بل هي نموذج المعنى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن اللغة بطبيعتها اللفظية تؤثر، ووجدت لتؤثر.

فخاصية المعنى وخاصية التأثير في اللغة الطبيعية تفسران لماذا لا يخلو كلامنا من حالات الاستدلال والمحاجة، ولماذا لا تخلو أساليب التعبير والقول من أفعال استدلالية وأدوات لغوية نحوية-لسانية تمفصل أجزاء الجمل وتجمعات الجمل وتستسيغها العقول والمعايير المتعارف عليها لدى جماعة بشرية معينة.

وإذا كان التعبير اللغوي عماده الجمل، وهي بدورها عمادها المعنى، فإن اختيار مناسبات التعبير وكيفيات استعماله أمور تبقى من اختصاص المتكلم ونوعية أسلوبه⁵⁴، فالأسلوبية اللغوية تنطلق من الأسلوب باعتباره، من وجهة نظر البعض، "قائما على استخدام الموارد الإبداعية للغة لصياغة الفكرة بأقصى ما يمكن من الفعالية"⁵⁵ وبفعل التداخل الموجود بين القول المكتوب والقول المنطوق، وإحالة أحدهما على الآخر، لا نستطيع إهمال تلك الظواهر الأسلوبية التي تتدخل سواء في إيصال المحتويات والدلالات، أو في تحقيق التأثير، وهذه الظواهر تتعلق بكيفية انتقاء عناصر العبارات وتناغم الأصوات اللغوية، وإيقاع العبارة ونبراتها، والاستعارات والاشتقاقات، وباقي الطاقات الإبداعية والتعبيرية التي تلعب أدوارا منتقاة بالنسبة إلى وضع الحجة، أو بالأحرى، تبين الحجج داخل تناصية معينة. ومصدر هذا التناقض هو كون المضمون العقلي والمنطقي لاستعمال الحجج لا يستطيع أن يستغني إطلاقا عن التعابير اللغوية والصيغ الأسلوبية.⁵⁶

خاتمة

"إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنتاج متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها، إن كون اللغة لها وظيفة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا، وأساسا، بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها"⁵⁷.

خاتمة وفكرة الأساليب الحجاجية، في الخطاب الإنشائي _____ مجلة فصل الخطاب

وانطلاقاً من كون الحجاج ينظر إليه ضمن الإطار الكلي لعملية التواصل الإنشائي الناتجة عن تفعيل الكفاءة الحجاجية، فهو إذن "ممارسة لفظية، اجتماعية، عقلية تهدف إلى تقديم نقد معقول حول مقبولية الموقف بصياغة مجموعة تراكمية من القضايا التي تبرر الدعوى المعبر عنها في الموقف، أو تدحضها"⁵⁸

مراجع البحث وإحالاته:

- 1 - بنعيسى أزيبيط، مداخلات لسانية "مناهج ونماذج" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، سلسلة دراسات وأبحاث، رقم 26، سنة 2008، ص 86
- 2 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، د. ت. مادة (ح. ج. ج) .
- 3 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت 1997. ص 228
- 4 - الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، مقالة ضمن الكتاب الجماعي الحجاج الجزء الثالث، ص 32.
- 5 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت. مادة (ج. د. ل) .
- 6 - نفس المرجع، مادة (ح. ج. ج) .
- 7 - ابن عاشور التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، د. ت. ج 3، ص ص 31-32.
- 8 - سورة النساء الآية 107.
- 9 - ابن عاشور، مرجع سابق، ج 5، ص 194.
- 10 - نفس المرجع، ج 12، ص 60.
- 11 - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 2007، ص 11.
- 12 - أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام بغداد 1986، المقالة 1، الفصل 2، 1356 أ.
- 13 - مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، مصر، 1979، ص 393.
- 14 - الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص 17
- 15 - أرسطو، الخطابة، المقالة 1، الفصل الثاني، 1356
- 16 - أرسطو، المقالة 3، الفصل 7، 1408 أ، و 1408 ب.
- 17 - عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 18.
- 18 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المعرفة، بيروت، 1980، ص 239.
- 19 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 239
- 20 - حمادي صمود، في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص 24.
- 21 - أبو عمرو الجاحظ، الرسائل، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، ص 246.
- 24 .

- 22 - أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي ط 2 سنة 1987، ص 08.
- 23 - عبد الرزاق بنور، جدل حول الخطابة والحجاج، ص 25.
- 24 - ينظر مادة Arguere في: Langman, Dictionary of contemporary english, langman, 1989.
- 25 - André Lalande, Vocabulaire technique et critique de la philosophie, éd. PUF, pp 78-79 .
- 26 - الحجاج، مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم: حافيز إسماعيلي علوي، ص 02.
- 27 - le grand Robert, Dictionnaire de la langue française , T1, Paris, 1989. P535 .
- 28 - chaim Perlman et Lucir – Olprechts- Tytyca: traité de l'argumentation – la nouvelle rhétorique. Préface de Michel Meyer -5éme édition. Editions de l'université de Bruxelles 1992 .
- 29 - بيرلمان وتيتيكاه، مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة، ص 5
- 30 - بيرلمان وتيتيكاه، مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة، ص 59.
- 31 - عبد الرحمن حسن حنيكة، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، الطبعة الثالثة 1988، دار القلم بيروت. ص 298.
- 32 - نفسه، ص 299.
- 33 - ينظر في هذا الخصوص كتاب " فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور " لمؤلفه رجا عبيد، ص ص 11-22.
- 34 - أبو عمر الجاحظ، البيان والتبيين، المجلد الأول ص 171.
- 35 - نفس المرجع، المجلد الثالث، ص 103.
- 36 - الحبيب أعراب، ص 44-45.
- 37 - M. Meyer, questions de rhétorique,, Language, raison et seduction , librairie general française , Paris 1993,p7 .
- 38 - الحبيب أعراب، ص 45.
- 39 - الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، ضمن كتاب الحجاج (مرجع سابق) الجزء الثالث، ص 46.
- 40 - بيرلمان وتيتيكاه، مصنف في الحجاج، ص 635.
- 41 - عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته، ص 303.
- 42 - هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ص 132.
- 43 - محمد العمري، البلاغة العامة والبلاغات المعممة، مجلة فكر ونقد، ع 25 سنة 2000، ص 75.
- 44 - نفسه ترجمة عن شايم بيرلمان في كتابه "إمبراطورية البلاغة" ص 9.
- 45 - أرسطو، المواضع، ص 101.
- 46 - أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 27.
- 47 - دائما كلما رجعنا إلى أرسطو وأقواله حول الخطابة والحجاج، أستحضر الجو العام السياسي والاجتماعي الذي كانت تعيشه اليونان في عصره. والذي كانت النزاعات الاجتماعية والصراعات الاجتماعية هي السائدة. ولهذا في نظري كان هاجس أرسطو في بناء تصوره الفلسفي والفكري العام هو إرساء دعائم القيم النبيلة . 25 .

- كالعدل والخير والنافع والجميل. وربما في هذا التصور يلتقي مع معلمه أفلاطون ونظريته في المثل في أعلى أنساق التفكير الفلسفي المبني على النظرية الأخلاقية.
- 48 - أرسطو، الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ص 37
- 49 - ابن سينا، الخطابة، تحقيق محمد سليم سالم، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1954، ص 4-5.
- 50 - ابن رشد، تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، توزيع دار القلم، بيروت، ص 3.
- 51 - Langage et Argumentation, Hachette, Université Paris , 2ème édition, 1982, p 118. Michel Meyer, نقلا عن: الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مرجع سابق ص 30.
- 52 - M. Mayer, Logique, Language et Argumentation, Hachette Université. 2ème Edition , Paris, 1982, p 136 .
- 53 - ينظر مقال على المنار البوعنانين نظرية الحجاج، المجلة التربوية، عدد 7، الدار البيضاء. 1997.
- 54 - نشير بهذا الصدد إلى ما سبق أن قلناه حول شخصي الخطيب أو المرسل، ودوره في ابتكار واصطناع الحجج المناسبة للسياق والمقام المتداول فيه الخطاب أو المنتج الأدبي.
- 55 - عفيف دمشقية، الإبلاغية فرع من فروع الألسنية، مجلة الفكر المعاصر، عدد 8-9، معهد الإنماء العربي، ص 16.
- 56 - الحبيب أعراب، كتاب الحجاج، ص 42-43.
- 57 - الحجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، ضمن مؤلف الحجاج، ج 1، ص 57.
- 58 - آليات الحجاج وأدواته، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ضمن مؤلف الحجاج، ج 1، ص 76.